«فتحوا كنوزهم»

تأليف: جيمس ل. ماي

كان إبرهيم غنياً بالمواشي. وكان بامكانه أن يقدم بكل فرح أفضل مواشيه. ولكن الله لم يطلب أفضل حيواناً لابرهيم، بل طلب الشيء الوحيد الذي كان يقيمه إبرهيم أكثر من أي شيء آخر — الابن الوحيد الذي كان بامكانه أن يبذل حياته لأجله. كان لإبرهيم خُداماً في بيته، لماذا لم يطلب الله واحد منهم؟ بل طلب الله اسحق الابن الذي أُعْطِيَ ليتمم الوعد الذي مضى عليه زمن طويل. كان إبرهيم يعتمد على إسحق ليكون الابن الذي بواسطته يجعله الله أُمة عظيمة. لو كان سفر التكوين ٢٢: ٣ قد قال «كلا يا رب لا أُقَدّم إسحق ابني! {قد أقدم لك} أي شيء آخر ولَكن ليس إسحق! اسمح لي يارب أن احتفظ بإسحق» لما أذهلني ذلك. ولكن يا للضحية! هل العبادة تطالب بالتضحية اليوم؟

خَرّ المجوس على الأرض ليسجدوا ليسوع: «ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا: ذهباً ولباناً ومُرّاً» (متى ٢: ١١). نعم العبادة تطلب هدية قيّمة — أي هدية تضحية. كان الذهب يقدم كهَدية ثمينة منذ زمن بعيد. صنع الملوك تيجاناً من الذهب. ويتم تزيين القصور والهياكل بهذا المعدن الثمين. يمثل الذهب النُبل، وهو يعتبر هدية مناسبة جدا لملك.

أي نوع من الهدايا هو اللبان؟ كان هناك مذبح بخور في المكان المقدس في خيمة الاجتماع أمام الحجاب الذي يفصل بين المكان المقدس وقدس الأقداس. كان قد أُعْطِيَ لموسى وصفات خاصة لصنع البخور الذي يُحرَق على المذبح. وكان اللبان واحد من المكونات التي تُحرق لتعطي عطراً، رائحة عبادة زكية لله. كان هذا البخور مقدس، يُستخدم فقط على ذلك المذبح وعند عبادة الله فقط (خروج ٣٠: ٣٤–٣٨).

يُصنع اللبان من صمغ شجرة دائمة الخضرة. وما زال يستخدم اليوم في بعض الطقوس الدينية في الشرق. تطلق هذه المادة رائحتها الزكية عندما تحرق بالنار فقط. قال الفرد قبس بان هذا يمثل رائحة حياة يسوع المعصومة. هذه التقدمة قد تمثل أيضاً حياة مكرسة لله، تصدر رائحتها الزكية فقط عندما يُمتحن الشخص كما لو كان بالنار (١ بطرس ١: ٧) ومع ذلك يبقى أميناً كمن يعبد الله. «ذبيحة كينونتنا الأخيرة (مذبح البخور) تصدر رائحة عبادتنا الزكية» (مقتبس من جيمس غيل).

المر هو طيب كان يستخرج من صمغ شجرة البلسم وله علاقة أيضاً بعبادة خيمة الاجتماع. وكان هذا واحداً من المحتويات التي يتكون منها زيت المسح المقدس الذي كان يُمسح به خيمة الاجتماع وجميع الأثاثات والآواني. وقد مُسحَ هرون وابناءه والكهنة بهذا الزيت (خروج ٣٠: ٢٢–٣٢). كان المر مقدساً للرب ولا يجب استخدامه لأي غرض آخر.

قُدّم ليسوع المر ممزوجاً بالخمر ليقلل من آلامه عندما كان على الصليب (مرقس ١٥: ٢٣). أتى نيقوديموس بمزيج من المر والعود لإعداد جسد يسوع للدفن (يوحنا ١٩: ٣٩ و ٤٠). وبسبب مرافقته للآلام والموت يعتقد البعض بان هدية المر كانت تمثل بطريقة نبوية آلام يسوع وموته كطريقة لخلاص الإنسان. ليس من المؤكد انه كان لهذه الهدايا معنى نبوي للذين اعطوها، ولكن الشيء المؤكد منه هو انها كانت تضحية من جانب العباد. قدمت من «كنوزهم» (متى ٢: ١١).

كان اللبان والمر هدايا تليق بالكهنة. استخدم الكهنة هذين العنصرين ليتقدموا إلى الله نيابة عن الشعب الذين كانت حياتهم غير مرضية لله دائماً. يغطي اللبان والمر نتن الخطيئة والموت والفساد. في سفر الرؤيا تم وصف دخان البخور بصلوات القديسين،

التي صعدت أمام الله كرائحة ذكية (رؤيا ٥: ٨؛ ٨: ٣ و٤). أشارة داود إلى هذه العلاقة عندما قال: «لتستقم صلاتي كالبخور قدامك، ليكن رفع يديّ كذبيحة مسائية» (مزمور ١٤١: ٢).

هدية باهظة الثمن

ينبغي أن نضحي بالشيء الذي نريد أن نحتفظ به — شيء غالي الثمن وإلا فلا تكن ذبيحة. هناك حدثين في حياة داود يوضحان هذه الحقيقة. حدث أحدهما عندما خيم الفلسطينيون في وادي الرفائيين الذي كان يمتد من أورشليم إلى بيت لحم. وكانت للفلسطينيين حامية جيش في بيت لحم. كان داود في حصنه في عدلام. فعطش داود للماء، لماء صافي وبارد من بئر بيت لحم التي كانت عند الباب. أراد ثلاثة من أبطال داود أن يلبوا أمنيته، فخاطروا بحايتهم متسللين الى معسكر للفلسطينيين واستقوا ماءً من البئر وحملوه وأتوا به لداود (٢ صموئيل ٢٣: ١٣–١٧). كان داود يريد أن يحصل على ذلك الماء ولكن لم يشاء أن يشربه، وبدلاً من ذلك سكبه للرب. لم يسمح لنفسه أن يشرب ما خاطر رجاله بحياتهم من أجله. الرب وحده يستحق مثل هذه الهدية التي أعطيت بوضع الحياة في خطر. قال داود: «حاشا لي يا رب أن أفعل ذلك! هذا دم الرجال الذين خاطروا بأنفسهم».

يوجد الحدث الثاني في الأصحاح ٢٤ من سفر صموئيل الثاني. في هذا النص نقرأ بان الله أرسل وباء على إسرائيل لأن داود كان قد أغضبه بعد ما عَدّ الشعب (آية ١٥). مات سبعون ألف رجل في كل الأرض. قال داود للرب: «ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا؟ فلتكن يدك عليّ وعلى بيت أبي» (آية ١٧). أتى النبي جاد إلى داود وقال له أن يذهب إلى بيدر أرونة اليبوسي ويقدم ذبيحة لله. أراد داود أن يشتري البيدر من أرونة ليقدمه ذبيحة. فقال أرونة لداود بانه يعطيه كل ما يريد مجاناً — البقر للمحرقة والنوارج وأنيار البقر لتكون حطباً. فأجاب داود: «لا، بل أشتري منك بثمن ولا أصعد للرب إلهي محرقات مجانية» (آية ٢٤).

كل من ربى المواشي يعرف التجربة في ان يترك الأفضل لنفسه ولزريبته. تحت النظام الموسوي لتقديم الذبائح، يكون الحيوان الذي يريد صاحبه ان يحتفظ به في كل سنة هو الذي يطلبه الله ذبيحة (عدد ١٨: ٢٩). تشتمل الذبيحة على هدية غالية الثمن. وتشتمل العبادة ايضاً على هدية غالية الثمن لله. اعطاء الله ما هو الأفضل لدينا يجعلنا نتكل عليه عوضاً عن الاعتماد على الممتلكات التي يمكن أن نحتفظ بها لأنفسنا.

هدية كان يقدمها الكهنة

الذبائح التي سبقت العصر المسيحي كان يقدمها الكهنة. كان الكهنة وحدهم المسموح لهم بالاقتراب إلى الله بالذبيحة. وهنا نجد واحد من مفاهيم العبادة المسيحية الأكثر معنى. موت يسوع على الصليب فتح الحجاب بين المكان المقدس (الكنيسة) وقدس الأقداس (عرش الله). في اللحظة التي مات فيها يسوع انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل (متى ٢٧: ٥٠ و٥١)، مزيلاً بذلك الحاجز بين الاثنين. وقد فتح هذا الطريق لتلاميذه ليتقدموا إلى الله بالطريقة نفسها كما فعل الكهنة سابقاً. يسوع رئيس كهنتنا «دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً» (عبرانيين ٩: ١٢). كان عليه أن يقدم «عن الخطايا ذبيحة واحدة» فقط (عبرانيين ١٠: ١٢). بما ان رئيس كهنتنا قد قدم نفسه كذبيحة خطيئة، فيمكن أن نتقدم إلى عرش النعمة بثقة لم يتمتع بها إلا الكهنة وحدهم (عبرانيين ٤: ١٦؛ ١٠: ٢١ و٢٢).

أتدري ماذا يعني هذا؟ الذين تم فداءهم بدم المسيح هم كهنة! الآن يمكن أن نقف حيث كان يسمح للكهنة وحدهم بالوقوف. نحن عُبّاد الله الحقيقيين «جنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء لكي {نُخْبَر} بفضائل الذي {دعانا} من الظلمة إلى نوره العجيب» (١ بطرس ٢: ٩). نُخْبَر بفضائله يعني أن نسبّحه!

من إحدى المواضيع الرئيسية في الرسالة إلى العبرانيين هو ان الله قد غير الكهنوت

في المسيح. بينما كان كهنة العهد القديم من سبط لاوي، إلا ان يسوع كان من سبط يهوذا (عبرانيين ٧: ١١-١٩). لم يكن هناك رئيس كهنة جديد فحسب، بل اصبح هناك أيضاً تغييراً في النظام الكهنوتي بأسره: مكون اليوم من الكنيسة كلها. المسيحيون كالكهنة وضعت عليهم مهمة تقديم ذبائح لله بعبادتهم له.

عندما بدأ يوحنا يكتب الرؤيا التي رآها، أكد بان يسوع المسيح قد «جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه ...» (رؤيا ١: ٦). ثم عبر عن التسبيح: «... له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين» (رؤيا ١: ٦). وفي وقت لاحق، أي في ٥: ١٠ صَوّر كائنات سماوية حول العرش يرنمون ترنيمة جديدة بهذه اللازمة: «وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض». الذين تم شراءهم لله بدم الخروف «من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» (٥: ٩)، تتكون منهم مملكة كهنة مركزين على الله، ما هو، وما فعل، وما يفعل لنا. معرفة هذا والإيمان به يجعلنا نتضع ونسبح ونمجد الإله القدير. نحن ككهنة «لا نكون فيما بعد مشاهدين بما يختص بهذا الأمر بل ينبغي أن نشارك».

بعد مناقشه هذا الجزء من سفر الرؤيا، علق جاك هايفورد على رسالة بطرس الأولى ٢: ٩ قائلاً: «الكلمتين مملكة و ملوكي في هذا النص تشيران بوضوح إلى إحدى وجوه الفخامة لعمل العبادة الكهنوتي. وبهذا توجد في قلب حياتنا في المسيح دعوة لندرك أن سيادتنا فيه مرتبطة مباشرة بعبادتنا له». تأتي بعض التعابير في هذه النصوص مباشرة من سفر الخروج ١٩: ٥ و٦. عندما صعد موسى على جبل سيناء، أوصاه الله أن يقول للشعب انهم سيكونون خاصته، وبانهم يكونون له مملكة كهنة وأمة مقدسة. ما أراده الله لإسرائيل أصلاً متاح اليوم للكنيسة، عُبَّاد الله الحقيقيين اليوم.

هدية حية

عند التفكير في تقديم تضحية لله، يأتي بخاطر معظم العُبّاد اليوم التبرعات المالية. أني لا أقلل من أهمية هذا النوع من التضحية — إذا كانت حقاً عطاء تضحية. يجب أن يكون العطاء من مصادرنا المالية جزء من عبادة التضحية التي نقوم بها. ولكن يتضح من دراسة الأسفار المقدسة أن ما يريده الله لنا في المقام الأول ليس تقديم ما نملك. فهو لا يريد بل ولا يحتاج إلى الأشياء التي نملكها. الممتلكات هي أسهل ما يمكن اعطاءه. ترك بطرس وأندراوس شباكهما وتبعا يسوع عندما دعاهما لأول مرة (متى ٤: ١٨-٢٠)، ولكنهما لم يدركا إلا بعد وقت طويل جداً ان يسوع ليبذلا حياتهما.

يكمن في رفض الإنسان لله رغبته لأن يحتفظ بنفسه لنفسه! أني مقتنع بان هذا كان السبب في ارتكاب أول خطيئة. أعطى الله آدم سلطانا على الأرض التي خلقها (تكوين ١: ٢٦). سيادة الإنسان على الأرض كان يتوقف على سيادة الله في قلبه. عندما اختار آدم ان يتخلى عن سلطان الله في قلبه، تخلى أيضاً عن سلطانه على الأرض. في ملكوت المسيح يمكن للناس أن يستردوا ذلك السلطان وذلك باعطاء أنفسهم مرة أخرى لسلطان المسيح. «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (متى ٥: ٥).

يقال ان أوسوالد جامبرس اعتاد ان يقول: «لا يقول لنا الله ان نتخلى عن الأشياء من أجل التخلي عنها فقط، بل يقول لنا ان نتخلى عنها من أجل الشيء الوحيد المستحق امتلاكه — وهو الحياة معه». ربما تم وصف هذه التضحية بصورة أفضل في رومية ١٢: ١. ينتهي الأصحاح ١١ بتسبيح غنى حكمة الله وعلمه: «له المجد إلى الأبد. آمين». ويبدأ الأصحاح ١٢ بفاء السببية في «فأطلب» أو بلام التعليل في «لذلك».[1] مما يدل على استمرار الفكرة أو مواصلة الحديث. هذا علماً بان حكمة الله وعلمه لا يمكن فهمهما. تم مناشدتنا «برأفة الله أن {نقدم أجسادنا} ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله {عبادتنا} العقلية». لا يريد الله ذبيحة ميتة التي إذا قُدّمت لا يمكن تقديمها مرة أخرى. هو يريدنا؛ يريد حياتنا! يريد أن يكون له مملكة من الكهنة المتعبدون. الهدف من التضحية بالنفس ليس ملاطفة غرور الله. بل

[1] أنظر الكتاب المقدس ترجمتي «فانديك» و«كتاب الحياة».

يريد الله أن نعطي أنفسنا لأن الطريقة الوحيدة التي بها نحصل على حياتنا هي أن نعطيها له (متى ١٦: ٢٥).

هذا المبدأ معبر عنه بالطريقة التي يسجد بها جند السماء. في سفر الرؤيا ٤: ١٠ نقرأ بانهم يطرحون أكاليلهم أمام عرش الله، مضحين للجالس على العرش بكل ما يدل على السلطة. لقد ضحوا بمناصب السلطة والحكم.

أعطى بولس مثل توضيحي لهذه الحقيقة في بعض من آخر كلماته المكتوبة. إذ كان يعلم بانه سيمضي قريباً ليكون مع الرب، كتب إلى تيموثاوس: «فإني أنا الآن أسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر» (٢ تيموثاوس ٤: ٦). لقد ضحى بما ضحى به الرب لأجله – أي ضحى بحياته.

وتحدث كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيضاً عن «ذبيحة التسبيح أي ثمر الشفاه معترفة باسمه» (١٣: ١٥). واستمر يقول: «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه مثل هذه يسر الله» (١٣: ١٦). الجزء الأول من هذا النص يشبه عبارة قالها النبي هوشع: «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم واقبل حسناً فتقدم عجول {أي ثمر} شفاهنا» (هوشع ١٤: ٢).

الذبيحة المقبولة عند الله تشمل على أعمال الرحمة للآخرين ونتمتع بفرح علاقتنا الكهنوتية مع الله. الضحايا الحية هي ضحايا القلب. أعطى المجوس من «كنوزهم» ليسوع. قال يسوع: «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (متى ٦: ٢١). يريد الله ان نقدم له كنوز قلبنا ذبيحة لمشيئته وهدفه. وإلا فالأشياء التي نكنزها في قلوبنا تكون حاجزاً بيننا وبين الله. اعترف داود بان الله كان يعرف ما بقلبه. إذ قال: «ذبائح الله هي روح منكسر. القلب المنكسر والمنسحق ...» (مزمور ٥١: ١٧). عملية التضحية بكنوز القلب لله هي العبادة. انها تحطم ثقتك في الكنوز الأرضية وتملأك بسلام دائم وفرح التوكل التام عليه.

الخلاصة

الدعوة العظمى لأي مسيحي هي لأن يكون كاهناً يعبد الله (١ بطرس ٢: ٥). العبادة التي تخلو من التضحية ليست عبادة على الاطلاق. علينا أن نتذكر ثلاثة حقائق على الأقل عن العبادة المضحية:

١. *الدافع الأعظم لتقديم الذبيحة هي المحبة*. جاءت امرأتان زانيتان إلى سليمان ليقضي بينهما وكانتا تعيشان في بيت واحد. كان لكل منهما طفلاً ولكن انقلبت إحدهما على طفلها في أثناء نومها ليلاً فمات. فأخذت ابنها الميت وأضجعته في حضن المرأة الأخرى وأخذت لنفسها ابن تلك المرأة الحي. وادعت كل من المرأتين بالابن الحي. استمع سليمان إلى الدعوى وفكر في أفضل طريقة للحل: قال بان يُشطر الابن الحي إلى نصفين ويعطى لكل من المرأتين نصفاً. فقالت إحدى المرأتين: «استمع يا سيدي، أعطوها الولد الحي ولا تميتوه». وكانت المرأة الأخرى تقول: «لا يكون لي ولا لك: اشطروه!». فعرف سليمان من التي كانت أم الطفل الحقيقية. المحبة وحدها هي التي حثتها أن تتخلى عن ابنها لكي يحيا (١ ملوك ٣: ١٦–٢٨). محبتنا الحقيقية لله هي وحدها التي تحثنا لنتخلى عن كنوزنا ونعطيها له.

٢. *فائدة التضحية العظمى هي الشكر*. «لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى» (عبرانيين ١٢: ٢٨). عندما ندرك بصورة كاملة من هو الله، وما عمله لأجلنا، وما يعمله لأجلنا، حينئذ نكون شاكرين حقاً. الذين يعرفون بانهم يحتاجون إلى المخلص ويقبلون عطية الفداء هم وحدهم لهم السبب في ان يعبدوا.

٣. *الذبيحة المطلقة هي ان نقدم أجسادنا «ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ...»* (رومية ١٢: ١). قدم رئيس كهنتنا الرب والملك نفسه ذبيحة لأجلنا. عبادتنا لا تدعى إلى شيء أقل من تقديم النفس له على المذبح. «عندما نضع روحنا في يدي الله كما فعل يسوع ونسمح بأن تأكله نار الروح القدس، حينئذ نكون مستعدين للدخول إلى حضرته» (مقتبس من غيلس).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧